الأدب المغاربي بين الإبداع الورقي والإبداع الرقمي

ط.د/حسناوي كلتوم

د/يحيى سعدوني

مخبر قضايا الأدب المغاربي

جامعة آكلي محند أولحاج/ الجزائر

تاريخ الإرسال: 2023/01/26	تاريخ القبول:2023/04/29

ملخص:

أدى تطور الإنسان فكريا، وأدبيا إلى تطور المجتمعات، التي تسعى إلى مواكبة روح العصر، من خلال تجاوز أشكال التعبير التقليدية، وتغييرها بأشكال ومضامين أدبية جديدة تصاحب ذلك التطور، فمن النص الورقي الذي تقتصر آليات إنتاجه على البعدين الكتابي، واللغوي، إلى النص الرقمي المتعدد الأبعاد، حيث تقترن الكتابة الأدبية بالوسائط الإبداعية الأخرى، كالصوت والصورة، والسنيما...وغيرها من الوسائط التي توفرها تكنولوجيا المعلومات.

وعليه تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف عند أبرز المصطلحات والمفاهيم التي عرف بها الأدب الرقمي، وأهم الخصائص والوظائف التي تميزه عن الأدب الورقي.

الكلمات المفتاحية: الإبداع الورقي؛ الإبداع الرقمي؛ المفاهيم؛ الوظائف.

Abstract:

Human beings' intellectuel and literature evolution led to the evolution of societies, which seek to keep pace. with the timesby exeeding the traditional forms of expression and replacing them with new forms and literary contents accompanying that evolution. From the paper text which its production mechanisms are limited to two dimensions: the written and the linguistic one, to multidimensional digital text, where literary writing is(coupled) with other creative media, such as voice and image, cinema... and other media provided by information technology

This study aims at identifying the most prominent terms and concepts of digital literature and the most important characteristics and functions that distinguish it from paper literature.
Keywords: Paper creativity؛digital creativity؛concepts؛functions.

البحث:

مقدمة :

عرف النص الأدبي عبر مساره التاريخي حركية إبداعية، أسهمت في تجديده، وتطويره؛ مما يتماشى مع كل مرحلة يمر بها، ووفق مقتضيات كل عصر من العصور التي ينسب إليه، فمن مرحلة المشافهة التي تعتمد على صوت الشاعر أو الخطيب، وسمع المتلقي، إلى مرحلة الكتابة على الورق التي تعتمد على الكاتب في تشكيل الحرف، ونقل النص من صورته السمعية الشفاهية إلى صورته المرئية الكتابية، ومن ثم تدوينه على الورق. فالورق كان الوسيط الحامل لإبداعات الكاتب، لتأتي بعد ذلك مرحلة أخرى أفرزها عصر التكنولوجيا، نتج عنها نوع جديد من الأدب، يختلف في طبيعته عن الأدب الورقي، من حيث الخصائص والمقومات التي توفرها له الإمكانات الرقمية والمعلوماتية.

إنه الأدب الرقمي الذي يسعى المبدع من خلاله إلى تقديم رؤى جديدة تجعل من النص الأدبي أكثر انفتاحا على سائر الفنون والوسائط المختلفة، وأوسع انتشارا .

وبما أنه أدب حديث النشأة مقارنة بنظيره الورقي، فقد أختلف الباحثون في إيجاد مفهوم شامل وموحد له، فما هي أبرز المفاهيم التي اقترحها هؤلاء الباحثين؟ وما هي أهم الوظائف التي جعلته يتميز عن الأدب الورقي؟ وهل يمكن القول أن هذا الأدب بتعدد وظائفه التقنية قد استطاع فرض سيطرته على المشهد الأدبي؟

1- الإبداع الورقي/الرقمي (المفاهيم والوظائف):

ارتبطت صفة الورقية بمرحلة كتابة وتدوين الأدب الشفاهي، المتمثل في القصائد والخطب، والقصص الشعبي...وغيرها من الأعمال الإبداعية التي ظلت تنتقل بين الناس عن طريق السمع والحفظ.

وبالتالي فالأدب الورقي في مفهومه العام هو نقل النصوص الأدبية من شكلها المنطوق المسموع، إلى شكلها المكتوب المرئي، من خلال المخطوط الذي يعتبر أولى مظاهر الأدب الورقي،« ومع الطباعة تم تطوير هذا البعد، وخاصة مع التقنيات التي أدخلتها تكنولوجيات الطبع في إخراج الكتاب، ويبدو لنا ذلك جليا في طبع الجرائد، والدوريات، والقواميس، والموسوعات... وغيرها من الكتب، فاستعمال الألوان ومختلف الأشكال المميزة للنصوص كل ذلك ساهم في جعل الكتاب المطبوع يظهر في أبهى صوره، كما أن توظيف "المناصات" (الهوامش، الفهارس، مسارد المصطلحات والمفاهيم الأساسية في النصوص التي تحيل على صفحات النص...) بتقنيات متعددة جعل النص يتطور تطورا كبيرا»[1]

ولم يقف تطور النص الأدبي عند حدود هذه التقنيات، بل تعداه إلى تقنيات أكثر حداثة، عرفت باسم "تكنولوجيا المعلوماتية"، والتي أسهمت بشكل كبير في إخراج الأدب من المطابع الورقية إلى جهاز الحاسوب؛ لتمنحه بذلك صفة الرقمية.

[1]سعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء–المغرب،ط1، 2005، ص 178.

2.1 –مفهوم الأدب الرقمي :

ارتبط ظهور الأدب الرقمي بأفكار ما بعد الحداثة، التي دعا إليها رولان بارت، وجاك دريدا، وميشال فوكو... وغيرهم من الباحثين، والمتمثلة في فكرة النص المفتوح، والمعنى اللامتناهي، وإشراك القارئ في إعادة إنتاج النص .

وقبل الحديث عن مفهوم الأدب الرقمي، يتعين الوقوف أولا عند المفهوم اللغوي والاصطلاحي للترقيم.

أ–الترقيم لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة (رقم) الرقم والترقيم: تعجيم الكتاب، يرقمه رقما، أعجمه وبينه، وكتاب مرقوم أي بينت حروفه بعلامات من التنقيط.

وقوله عز وجل: كِتَبٌ مَّرْقُومٌ، (المطففين الآية 9)، أي كتاب مختوم، والمرقم القلم، يقولون: طاح مرقمك، أي أخطأ قلمك.[1]

أما عند الغرب فقد وردت في قاموس أكسفورد كلمة Digit الرقم (من صفر إلى 9)، وتعني كذلك الأصبع، وهي مأخوذة من اللفظة اللاتينية digitus والتي تعني أصبع اليد أو القدم، وبالتالي فإن كلمة رقمي تعني digital [2]، كما

[1]محمد ابن منظور الافريقي المصري، لسان العرب، مادة رقم، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، دط، مج3،ج24 ص 1709.

[2]محمد بدوي، قاموس أكسفورد المحيط، أكاديميا، بيروت، د ط، 2003، ص 294.

تحيل كلمة الرقمي Numérique على ما هو رياضي وعددي ومنطقي وحسابي وإعلامي.[1]

ب – الترقيم اصطلاحا:

يعرف سعيد يقطين الترقيم Numérisation بأنه «عملية نقل أي صنف من الوثائق من النمط التناظري (أي الورقي) إلى النمط الرقمي، وبذلك يصبح النص والصورة الثابتة أو المتحركة والصوت أو الملف مشفرا إلى أرقام؛ لأن هذا التحويل هو الذي يسمح للوثيقة أيا كان نوعها بأن تصير قابلة للاستقبال والاستعمال بواسطة الأجهزة المعلوماتية»[2]

وإن اتفق الكثير من الباحثين على أن مصطلح الأدب الورقي يحيل على الأدب المقدم للقارئ طباعة على الورق، فإن مصطلح الأدب الرقمي لايزال موضع تأسيس وجدال؛ « ففي أمريكا اصطلح على تسميته بالنص المترابط أو الهايبر تكستHypertext وكان ذلك في ستينات القرن الماضي من قبل "تيد نيلسون"، وهذا ما ذكره "جورج لاندو" ، حين فرق بين النص الورقي، وبين "الهايبر تكست"، ورأى أن الأول ذو شكل ثابت ومحدد، ويقرأ بخطية متسلسلة، بينما الثاني فهو شبكة مركبة من عدة نصوص ليست ذات شكل محدد، ويمكن قراءتها بطريقة غير خطية وغير متسلسلة، كذلك فإن النص الورقي يعرض أمام

[1]جميل الحمداوي، الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق، مكتبة المثقف almothaqaf.com، ج1، ط1، 2016، ص12.

[2]حكيمة بوشلالق، الكتابة الأدبية من الورقية إلى الرقمية بين عقلنة التأييد وسخرية الرفض، مجلة التحبير، مج2، ع1،مارس 2020،ص33.

القارئ على الورق سواء في كاتب أو مجلة، بينما يعرض "الهايبر تكست" أمام القارئ من خلال شاشة الكمبيوتر.»[1]

أما في أوروبا فيتم توظيف مصطلح الرقميNumérique والتفاعلي interactifوبعد مؤتمر باريس حول الأدب والمعلومات سنة 1994، ظهر مصطلح الأدب المعلوماتيinformatique ، ليظهر فيما بعد وبالضبط في 2006 مصطلح جديد بعنوان الأدب الرقمي numérique littérature»[2]

إضافة إلى مصطلحات أخرى عرف بها هذا النوع من الأدب، مثل: الأدب الإلكتروني، الأدب المتشعب، الأدب المتفرع، الأدب الفائق، الأدب الشبكي، الأدب السيبرنيطيقي، الأدب التكنولوجي.

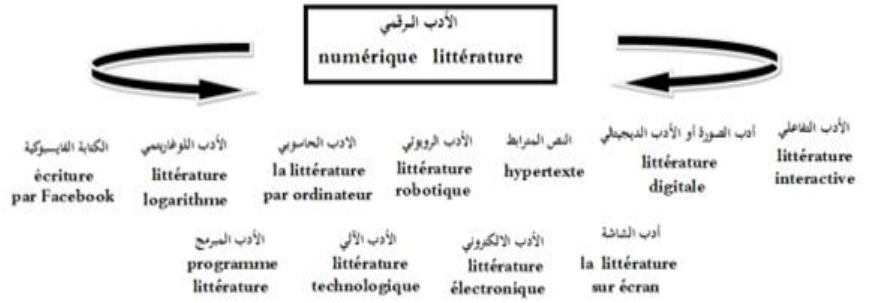

[1]أحمد زهير رحاحلة، إشكالية المتلقي في ضوء الإبداع الرقمي، جامعة البلقاء التطبيقية، الأردن–السلط ،ص 5

[2]ينظر: اسمهان وحشي أمال، الأدب التفاعلي: إشكالية المصطلح والمفهوم والهوية، مجلة مقاربات، مج7، ع1، 2021، ص276.

ولم تقف إشكالية تعدد المصطلح عند الغرب فحسب، بل انتقلت إلى العرب، «ولكن بتعقيد أكبر؛ فالمسألة لم تعد متعلقة بطبيعة هذا النمط من الأدب، بل بترجمة المصطلحات أيضا »[1] ، ورغم ذلك اجتهد بعض الباحثين في هذا المجال، ومن بين هؤلاء الناقدة الإماراتية فاطمة البريكي التي تقدم تعريفات مختلفة لبعض المصطلحات السابقة الذكر، حيث ترى أن الأدب الإلكتروني هو أدب يقدم عبر وسيط إلكتروني بعد أن كان يقدم عبر الوسيط الورقي، أما الأدب الرقمي فهو أدب يقدم على شاشة الحاسوب الذي يعتمد على الصيغة الرقمية الثنائية (1/0) في التعامل مع النصوص أيا كانت طبيعتها، في حين تعرف الأدب التفاعلي على أنه جنس أدبي جديد الظهور، يطل علينا عبر شاشة الحاسوب، ويعتمد على خصائص النص الجديدة التي لا يمكن أن توجد ورقيا.[2]

والذي يجدر ذكره أن الناقدة فاطمة البريكي تفضل مصطلح الأدب التفاعلي، وتراه الأكثر عمقا واقترانا بالتكنولوجيا.

يرى سعيد يقطين أن «مصطلح الأدب الرقمي يحيل على عملية ترقيم المعطيات الأدبية بناء على ما تقدمه المعلومات»[3] أما النص المترابط فهو« النص الذي نجم عن استخدام الحاسوب وبرمجياته المتطورة، والتي تمكن من إنتاج

[1]المرجع السابق، ص277.

[2]ينظر: فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء– المغرب،ط1، 2006، ص 70-73-75.

[3]سعيد يقطين، النص والنص المترابط ،ص184.

النص وتلقيه بكيفية تبنى على الربط بين بنيات النص الداخلية والخارجية»[1]، في حين يعرف الإبداع التفاعلي بقوله: «هو مجموع الإبداعات و(الأدب من أبرزها) التي تولدت مع توظيف الحاسوب، ولم تكن موجودة قبل ذلك، أو تطورت من أشكال قديمة، ولكنها اتخذت مع الحاسوب صورا جديدة في الإنتاج والتلقي.»[2]

وتجدر الإشارة إلى أن سعيد يقطين يوظف مصطلح الإبداع الرقمي أو التفاعلي، بدل مصطلح الأدب التفاعلي؛ لكونه-حسبه- أشمل وأدق توصيفا من المصطلحات الأخرى.

أما جميل حمداوي فيرى أن «مفهوم الأدب الرقمي لا يمكن استيعابه بشكل جيد ودقيق، إلا بتمثل دلالته اللغوية، والوسائطية، والإعلامية، ومعرفة سياقاته التاريخية التي عرفها هذا الأدب في مساراته الزمنية والمكانية، وتحديد مقوماته، وخصائصه الفنية والجمالية»[3] ، غير أنه يقدم تعريفا لهذا الأدب بقوله: «هو المنتج اللوغاريتمي، والرياضي الحقيقي، أي: إن الأدب الرقمي هو نتاج الحوسبة الإعلامية، وخاضع للبرمجة الإعلامية، ومنسجم مع الهندسة الداخلية للحاسوب، على أساس أن الأدب الرقمي هو إنتاج إعلامي داخلي، في حين يعد الأدب الإلكتروني إنتاجا إعلاميا خارجيا» [4].

[1]المرجع السابق، ص 9.
[2]نفسه، ص9-10.
[3]ينظر: جميل حمداوي، المرجع السابق، ص12.
[4]نفسه، ص 14.

يعرف الناقد عز الدين المناصرة الأدب الرقمي على أنه «كتلة لغوية متحركة الاتجاهات، تأخذ طابعا متشعبا، ودرجات هذا التشعب مرهونة بنوعية الشبكة ومدى ليونة أو صعوبة أو تعقيد وصلاتها » [1]

ويعرف حسام الخطيب الأدب الرقمي على أنه «النص المفرع، وهي تسمية مجازية لطريقة في تقديم المعلومات يترابط فيها النص والصور والأصوات والأفعال معا في شبكة من الترابطات مركبة وغير تعاقبية ...دون التقييد بالترتيب والخطية التي بني عليها الأدب الورقي » [2]

أما الناقدة زهور كرام فتبدو في تعريفها لهذا الأدب غير قادرة على تقديم مصطلح على آخر، فتقول: «إنه التعبير عن تطور النص الأدبي الذي يشهد شكلا جديدا من التجلي الرمزي، باعتماد تقنيات التكنولوجيا الحديثة والوسائط الالكترونية» [3]

وبعيدا عن الإشكالات التي تثيرها هذه التعريفات، يمكن القول: أن الأدب الرقمي هو ثمرة تعالق الأدب بالتكنولوجيا الحديثة، ولا يمكن أن يكون في متناول المتلقي إلا من خلال الوسيط الإلكتروني، ولا يمكن أيضا طباعته بشكل عادي، وأحيانا لا يمكن طباعته بشكل مطلق؛ بسبب عناصر مرتبطة بالنص لا

[1] عز الدين المناصرة، علم التناص والتلاص، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط1، 2011، ص392.

[2] ينظر: حسام الخطيب، الأدب والتكنولوجيا وجسر النص المفرع، وزارة الثقافة والفنون والتراث، الدوحة، ط2، 2011،ص118.

[3] زهور كرام، الأدب الرقمي أسئلة ..ثقافية وتأملات مفاهيمية، رؤيا للنشر والتوزيع،القاهرة،ط1 ،2009، ص22.

يمكن تحويلها إلى شكل مطبوع، وهو أدب قابل للتعديل من قبل الكاتب والمتلقي معا.

2.2 – وظائف الأدب الرقمي:

تختلف وظائف الأدب الرقمي عن وظائف الأدب الورقي؛ إذ يرتكز هذا الأخير على توظيف تقنيات الكتابة التقليدية، المتمثلة في علامات الترقيم، والمساحات السوداء، والفراغات البيضاء، التي تتيح للقارئ وظيفتي التفاعل والتأويل، ضمن إطار محدود، باعتبار هذا النص أحادي الملكية، والتي تعود إلى الكاتب .

وفي هذا السياق برى سعيد بن كراد أن القصدية الأصلية هي قصدية المؤلف وحدها ولا شيء غيرها، بل يمكن ما يأتي به القارئ نقيضا لما توحي به هذه القصدية.[1]

وبالتالي فهو نص تقوم وظائفه على عناصر الإبداع الثلاثة وهي: النص-المبدع-القارئ.

[1]سعيد بن كراد، الأدب الرقمي جماليات مستحيلة، على الرابط:-www.arab-ewriters.over-blog.net

أما الأدب الرقمي فهو الأدب الذي «يوظف معطيات التكنولوجيا الحديثة في تقديم جنس أدبي جديد يجمع بين الأدبية واللاكترونية.[1]» ، وتتمثل هذه المعطيات في الحاسوب وما يتيحه من وسائط متعددة، باعتباره «أداة جديدة للتواصل يؤدي إلى خلق أشكال جديدة للتواصل»[2] ، غير أن الحاسوب ليس أداة فحسب بل «هو شكل ولغة وفضاء ...وهو أيضا أداة للإنتاج (برنامج) وإنتاجا يتحقق من خلال النص أيا كانت علامته(اللغة–الصورة–الصوت–الحركة) سواء كانت هذه العلامات متصلة أو منفصلة.» ، وقد يوظف «واحدة أو أكثر من الوسائط المعلوماتية»[3] «ومن هنا، فالصوت أو النص أو الصورة عبارة عن مكونات الواسطة الإعلامية ذات الوظيفة السيميوطقية»[4]

[1]فاطمة البريكي، المرجع السابق، ص49.
[2]سعيد يقطين، المرجع السابق، ص10.
[3]ينظر: نفسه، ص 10.
[4]فيليب بوطز، ما الأدب الرقمي، تر :محمد أسليم، مجلة علامات، ع35،ص103.

صور توضح بعض الوسائط المتعددة التي يتحيها الحاسوب للنص وللكاتب، وللمتلقي من جهة أخرى تبرز وظيفة الكاتب التي تتعدى وظيفة الكتابة إلى الإبداع، حيث يجمع بين معرفته لأسس الكتابة التقليدية، وإتقانه لمختلف تطبيقات الحاسوب.

والأمر نفسه لدى القارئ الذي يتعدى وظيفة القراءة إلى وظيفة التلقي، والتفاعل، ومشاركة الكاتب لعمله الإبداعي، إذ يمكنه التعديل، والحذف، والإضافة... وغيرها من الخصائص التي يمنحها هذا النص المفتوح من خلال تفعيل الروابط والتنقل بينها بسهولة، وبشكل أسرع، والتي تظهر غالبا باللون الأزرق.

صور من ديوان شعري رقمي للشاعر الجزائري "لزهر دخان"، تبين الروابط المستخدمة، وكذلك عملية الانتقال من قصيدة إلى أخرى عبر الفهرس الالكتروني:

أما الروائي المغربي "عبد الواحد استيتو" فقد قام بإنشاء صفحة على الفيسبوك باسم روايته الرقمية التفاعلية " على بعد ملمتر واحد فقط"، ثم وضع بعد ذلك صورة للصفحة تعبر عن الرواية وهي بمثابة غلاف للرواية، كما هو موضح فيما يلي:

ويذهب سعيد يقطين إلى أن هذه العملية الجديدة تجعلنا أمام ازدواج الوظيفة لدى كل منهما، إذ يصبح المؤلف نفسه كاتبا قارئا، ويغدو القارئ في اللحظة عينها قارئا كاتبا، ثم يقول: هذه العملية الجديدة يمكن إعادة صياغتها على النحو التالي: الكتابة+القراءة=الكراءة ⟵ القراءة+ الكتابة= القتابة

وعندما وقف "كوسكيما" عند الفرق بين (التفاعلية) في الأدب الورقي التقليدي، ونظيرتها في الأدب الرقمي، قال نقلا عن "إسبن ارسيث" بوجود أربعة أنواع لوظائف المتلقي/المستخدم، يجب توافرها في أثناء قراءته نصا حتى يصح وصفه بالتفاعلية، وهذه الوظائف هي: التأويل، والإبحار، والتشكيل، والكتابة.[1]

يبدو من خلال هذه الوظائف أنها لا تختلف عن تلك الوظائف التي عهدناها في النظريات النقدية الورقية، باستثناء وظيفة الإبحار التي تتم رقميا عن طريق شبكة الأنترنت .

وبالعودة إلى هذه الوظائف التي يؤديها كل من الحاسوب، و الكاتب، والمتلقي، تتشكل لدينا أربعة عناصر للعملية الإبداعية وهي: النص–الحاسوب–المبدع–المتلقي.

نص رقمي

مبدع=كتابة+وظيفة لغوية+ تفاعلية+وظيفة وظيفة إبداعية+وظيفة تقنية

المتلقي =قراءة+وظيفة تأويلية+ وظيفة تقنية.

حاسوب (تعدد الوسائط)

[1] فاطمة البريكي، المرجع السابق،ص 64.

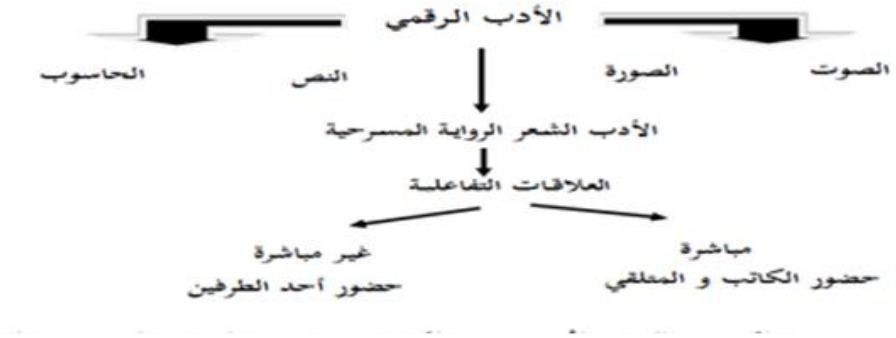

وانطلاقا مما سبق فقد خلصت المداخلة إلى أهم الاستنتاجات وهي:

•لايزال مفهوم الأدب الرقمي محل تأسيس وجدال بين الباحثين سواء الغرب أو العرب؛ إذ لم يتمكن هؤلاء من إيجاد مفهوم شامل وموحد لهذا الأدب .

•تعددت مصطلحات ومفاهيم الأدب الرقمي، غير أنها تشترك في كونها تجمع بين الأدبية والتكنولوجيا الحديثة.

•تتعددت وظائف الأدب الرقمي، وتوسعت عمليته الإبداعية؛ لتشمل أربعة عناصر، حيث يضيف هذا الأدب وسيطا جديدا، وهو الحاسوب، مقابل محدودية الوظائف التي تميز الأدب الورقي.

•اعتمد الأدب الرقمي تقنيات المعلوماتية وما يصاحبها من برامج، مما أدى إلى التركيز على الشكل أكثر من المضمون.

وصفوة القول أن الأدب الرقمي بالرغم من وظائفه الحيوية التي أسهمت في تطويره، ورفعه إلى مستويات تتجاوز المستوى اللغوي، والكتابي، إلا أنه لا يحمل الطاقة الإنفعالية ذاتها، التي يتضمنها، الأدب الورقي.